فكاهات

جزآء الغادر (١)

اشتهر في القاهرة منذ امدٍ غير بعيد محلٌّ تجاري لرجلٍ اجنبي يدعى المستر رو برتسن وكانت اعمال هذا المحل مقصورة على طلب البضائع الاوربية من الخارج وبيعها للتجار في العاصمة والارياف ولم تكن معاملات المحل المذكور الاّ بالنقد المعجل. وكان في استقامة صاحبهِ وصدق معاملاتهِ ما ضمن لهُ توسيع اشغالهِ وزاد في صندوقهِ مبالغ من الارباح. فلما وثق رو برتسن بثبات محلهِ وتوطيد دعائم العمل فيهِ وكان قد حناهُ الكبر واتعب جسمهُ السهر على مصلحتهِ عهد في ادارة شغلهِ الى فتًى في الربيع الحادي والعشرين من حياتهِ حميد الصفات ذكي الفؤاد ذي اهلية واقتدار يدعى برسي. وبعد ان درَّبهُ رو برتسن مدةً على نهج الشغل وتأكد منهُ حسن القيام بالادارة فوض اليهِ العمل تفويضاً مطلقاً وترك لهُ المحل بكمالهِ يديرهُ كيف شآء ولم يكن يجيئ هو الى مكتبهِ الا نادرًا حين تدعوهُ الضرورة للتوقيع على الحوالات والعقود. فكان برسي عنوان الاجتهاد والدراية وقد خصص معظم وقتهِ للعمل فلم يمل قط الى الملاهي العديدة التي كانت القاهرة حافلةً بها في تلك الايام واقتصر على معاشرة صديقٍ واحد يدعى هربرت حرفتهُ المحاماة وكان يتردد على اربع أُسَر من قاطني القطر يزورها حيناً بعد حين زيارات معتدلة. فوقع بين برسي وابنة احدى هذه الاسر واسمها ڤيولت وداد عظيم فكان اذا وُجد بحضرتها يشعر انهُ في محضر ملائكة النعيم واذا كانت هي بقربهِ تشعر انها متمتعة باعظم الملذات مع انهُ لم تزد الصلة بينهما عن درجة الوداد ولم تتعدَّ حدود الصداقة البسيطة

وفي ذات يوم دخل برسي الى مكتبهِ كعادتهِ ولم يكن عندهُ من العمل في

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ذلك النهار سوى فض الرسائل الواردة الى المحل فرأى بينها رسالةً لم يسبق لهُ ان رأى مثل ظرفها ولا نوع الخط المعنونة بهِ فالقاها الى جانب وأخذ يفض بقية الرسائل وهو كلما قرأ واحدة منها يحول نظرهُ الى الرسالة الاولى حتى جآء على آخر المراسلات ولم يجد فيها شيئاً مهمًّا . ثم اخذ الظرف الذي شغل عقلهُ كل تلك الفترة وفضهُ وتلا الرسالة التي ضمنهُ فكأنهُ مذ اخذهُ بيدهِ قد قبض على موصلٍ كهربآئي فصعد الدم الى وجنتيه واخذتهُ رجفةٌ خفيفة كانت تزيد كلما اتى على سطرٍ من سطور تلك الرسالة وما اتم قرآءتها حتى قرع حرساً فضيًّا امامهُ فدخل عليهِ بعض الكتبة فقال لهُ متى يسافر اول قطار من هنا الى الاسكندرية . فنظر الكاتب الى ساعة معلقة على الجدار وقال بعد نصف ساعة . فامتعض برسي ثم ناول الكاتب ليرة وقال اسرع ما امكنك الى المحطة وخذ لي تذكرة سفر الى الاسكندرية وانتظرني ريثما اجيء . ورأى الكاتب في وجه برسي وحركاتهِ ما لم يرهُ قبلاً فداخلهُ ريبٌ من جهتهِ لكنهُ لم يمكنهُ مخالفة الامر فاسرع قاصدًا المحطة وهو يكيف الامر على ما يناسب افكارهُ وظنونهُ . اما برسي فاكبَّ على مكتبهِ واخذ المراسلات المتجمعة لديهِ فجعل يكتب على كلٍ منها بقلمهِ الازرق ما ينبغي ان تجاوب بهِ تلك المكاتبات وهو في كل لحظةٍ يرمق الساعة بنظرهِ الحاد حتى لم يعد لهُ من الوقت الا ما يكفيهِ لبلوغ المحطة فنهض مسرعاً وتناول قبعتهُ ثم فتح درجاً اخذ منهُ محفظة متينة من الجلد الاسود وهو على تسرعهِ يظنها محفظتهُ الخصوصية وهرول على سلم المحل وما بلغ الشارع حتى استوقف عربةً ركبها وامر السائق ان يحثَّ السير الى محطة السكة الحديدية . ولما بلغها رأى الكاتب في انتظارهِ فاخذ التذكرة منهُ وقال لهُ قد تركت لك الرسائل على مكتبي ووقَّعت على كلٍّ منها ما ينبغي ان تجاوب بهِ فلا تتأخر عن القيام بذلك ومرّ في رجوعك على بيت المستر روبرتسن واعلمهُ ان امرًا خصوصيًّا في غاية الاهمية استدعى سفري الى الاسكندرية فمتى قضيت شغلي عدت فورًا . وكان القطار قد ابتدأ ينساب من المحطة كانسياب الافعى من جحرها فوثب برسي اليهِ وجلس في غرفةٍ لم يكن فيها سواهُ وغاص في تأملاتهِ . اما الكاتب فكانت

اعمال برسي تزيدهُ ظنوناً سيئة والنفس امارة بالسوء وارتاب في المحفظة الجلدية التي رآها في يد برسي فتبسم تبسماً شيطانيًّا ثم هز رأسهُ كمن ادرك غاية بعيدة المنال وقد القتها التقادير بين يديهِ . ولما غاب القطار عن نظرهِ خرج مسرعاً وجعل يعدو مسابقاً الرياح

اما برسي فظل غارقاً في تأملاتهِ مناجياً الاشباح التي كانت تتمثل امام مخيلتهِ ولم يفق الى نفسهِ الا عند وقوف القطار في محطة الاسكندرية فأشرق وجههُ بلمعان نور جديد ونفض عن ثيابهِ غبار الطريق ثم وقف وكان اول النازلين من القطار . ولكنهُ ما كادت تمس قدماهُ رصيف المحطة حتى شعر بيدٍ قد لمستهُ فنظر واذا بواحد من رجال الشحنة . فسألهُ عن مرادهِ فقال اعذرني يا مولاي فاني لا يسعني الا ان اقوم بواجباتي وهي تقضي عليَّ بالحجز عليك . فصاح برسي مز بدًا بالحجز عليّ .. ولأي سبب يا ترى . قال لا اعرف لذلك سبباً بل اعرف ان الاوامر المعطاة لي هي ان اقابلك ولا ادعك تتجاوز باب المحطة وان اعيدك محفوظاً الى القاهرة . فقال برسي ولكن اعلم يا هذا انك تعارض اجنبيًّا لا يتجاسر على معارضتهِ الا قنصل دولتهِ . قال اعلم ذلك يا مولاي وهوذا رجل من قبل القنصل و بيدهِ امر لك ان لا تعارض ما اجريهِ . فوقف برسي مبهوتاً ورأى ان المقاومة لا تجديهِ نفعاً وظهرت علامات التذلل على وجههِ فقال للشحنيّ ألا يمكنني اذًا ان اقابل شخصاً جئت لمقابلتهِ لامر ضروري جدًّا ربما توقفت عليهِ حياتي . فقال بكل اسف يا مولاي لا ارى لك سبيلاً الى ذلك وليس في امكاني مخالفة الاوامر المعطاة لي فان شئت فادخل الآن الى هذه الغرفة ريثما يأتي وقت قيام القطار الى القاهرة فترجع فيهِ واذا كنت في حاجةٍ الى طعام او شراب فلا اسهل من احضار ذلك اليك . فقال برسي كلا لا يلزمني شيء من ذلك ثم حنى رأسهُ على صدره ودخل الغرفة وفي صدرهِ نارٌ احرّ نار الجحيم ابردها . و بعد نحو نصف ساعة دخل الشحنيّ وقال كن على استعداد يا مولاي فقد بقي نحو خمس دقائق لقيام القطار . فتنفس برسي الصعداء وقال سمعاً وطاعة ولكن اسألك معروفاً واحدًا . قال وما هو . قال اذا كتبتُ رقعةً فهل تعاهدني

على ايصالها الى صاحبها . فقال الشحني لم يردني امرٌ في هذا الشأن ولكني لا اظن ان فيهِ محذورًا . فسُرّي عن برسي واخذ للحال قلمًا وخط بضعة اسطر اودعها ظرفًا وكتب عليهِ العنوان ودفعهُ الى الشحني ثم ناولهُ ليرة وقال هذه اجرة الرسول لكي لا يتأخر في ايصال رسالتي . فقال الشحني كن في راحة بال يا مولاي فانا اؤكد لك انهُ بعد نصف ساعة تكون رسالتك بين يدي صاحبها . ثم أُدخل برسي الى غرفةٍ في القطار وسار وهو كالمأخوذ لا يدري أفي يقظةٍ هو ام في منام

ولبث برسي مدةً لا يسمع سوى صوت سير العجلات على الخط الحديدي ثم عاد الى نفسهِ كمن انتبه من نومٍ عميق وجعل يناجي خواطرهُ ويفكر في ما عساهُ ان يكون السبب في القآء القبض عليهِ وهو لم يقترف ذنبًا ولا ارتكب وزرًا . ثم خطر لهُ ان يبحث في محفظتهِ الجلدية عن بعض الاوراق ليلهي بها افكارهُ المتشردة ففتح المحفظة وللحال رأى ما حلَّ امامهُ ذلك المعمَّى الغريب التفسير اذ وجد نهُ من سرعتهِ في الصباح اخذ عوضًا عن محفظتهِ الخصوصية المحفظة المختصة بالمحل التي تودع فيها اوراق القراطيس المالية . ولما ظهرت محتوياتها امام عينيهِ ورأى ما فيها من اوراق المصارف والاسهم التي كان يعرف عظم قيمتها وقف ساهيًا ثم قال في نفسهِ لا بد ان الحجز عليَّ اليوم كان مبنيًّا على اخذي هذه الاوراق وقد ظنوني سارقًا فيالجنونهم وندمهم حين تظهر لهم الحقيقة . ولكن من يا ترى الشخص الذي ظنَّ بي هذا الظن واسرع الى الحصول على الامر بالقآء القبض عليَّ . انهُ لا يستطيع هذا الامر الا رو برتسن نفسهُ ولكن من المستحيل ان يكون هو الفاعل لانهُ يعرف امانتي وقد سلم كل اشغالهِ بين يديَّ بل هو يعلم انني لو كنت سارقًا لما تأخرت الى الآن عن ان افعل ولاستعملت غير هذه الطريقة . وكان هذا الاكتشاف اراح فكر برسي ولم يعلق على الامر اهمية بل كان يفتكر فيما عسى ان يقولهُ رو برتسن متى اوضح لهُ الامر وماذا يحل بالذي وشى بهِ اذا كان في الامر وشاية

وبلغ القطار محطة القاهرة فرأى برسي على الرصيف احد رجال القنصلية ومعهُ اثنان من رجال الشرطة دخلا الى غرفتهِ فعرف قصدهما وقدم لهما يديهِ فوضعا فيها

الحديد وسارا بهِ الى دار القنصل فاودعاهُ في غرفةٍ وتركاهُ يناجي جدرانها المكاسة . وكان برسي لا يزال يعتقد ان برآءتهُ ستظهر لاول وهلة فكان يسخر في نفسهِ بهذه الاحتراسات ويفكر فيما عساهُ ان يفعلهُ متى ظهر الامر . ومضت عليهِ تلك الليلة فنام فيها نوماً هادئاً لا يشوبهُ انزعاج ولما كان الصباح ادخل الحارس لهُ طعاماً من مائدة القنصل فاكل ثم فُتح باب غرفتهِ ودخل عليهِ صديقهُ المحامي هربرت . ولما رآهُ برسي نهض فقابلهُ بغاية السرور وجلس الصديقان على دكةٍ في جانب الغرفة فقال برسي اهلاً وسهلاً بك يا صديقي هربرت اني كنت انتظر زيارتك منذ مسآء امس فلمَ تأخرت عليَّ الى الآن . فقال هربرت لم يبلغني امرك الا في آخر الليل فآثرت ابقآء زيارتي الى الآن فقل لي بربك ما هذا الذي فعلتهُ فقد اقلقت افكاري وتراني على احرّ من الجمر لاعرف تفاصيل الامر . فاجابهُ برسي ضاحكاً لا تهتم ايها العزيز هربرت فليس في الامر ما يدعو لمداخلتك في المدافعة عني وما هي الا غلطة جسيمة ارتكبها المستر روبرتسن وسيندم عليها شديداً ثم قص عليهِ حكايتهُ كما وقعت . فقطب هربرت حاجبيهِ وقال ليس الامر بسيطاً يا عزيزي برسي كما توهمت بل اني ارى الامر مشكلاً واراك في موقفٍ حرج اسأل الله ان ينقذك منهُ . قال ولمَ ذلك . فقال المحامي لاني بحثت عن امرك ودرست ما جرى درساً مدققاً فوجدت انهُ ان لم تحدث اعجوبة سماوية فأنت لا تنجو من العقاب . فقال برسي وقد اثر فيهِ كلام صديقهِ وماذا ترى في الامر يا هربرت صرح لي بافكارك ولا تنسَ ان كلمةً واحدة من فم روبرتسن تنفي كل ما حصل وتذرّيهِ ادراج الرياح . فقال المحامي انا اعلم ذلك ولكن اواه من لنا باستخراج تلك الكلمة من فم روبرتسن وهو قد امسى جثةً هامدة . فصاح برسي وقد استولى عليهِ الدهش ماذا تقول . . قال نعم ان مما يزيد موقفك حرجاً هو ان المستر روبرتسن قد توفي في الليلة التي كان سفرك في صباحها الى الاسكندرية بمرض القلب الذي لازمهُ منذ زمن بعيد . وقد لاحظ منك بعض الكتبة السرعة والانقباض في ذلك الصباح ثم رآك تسرع في السفر من القاهرة وقد تأبطت اوراق المحل المالية فداخلهُ في امرك

ريب وما ودّعك على المحطة حتى عاد الى ارملة الفقيد روبرتسن واقنع عقلها الضعيف بسوء قصدك فتركت جثة زوجها وتوجهت الى دار القنصل فرفعت اليهِ شكواها وصدرت للحال الاوامر بالحجز عليك. اما الآن وقد جرى ماجرى فمن يبرهن للقضاة على حسن قصدك وانك انما فعلت ذلك سهوًا ولغاية لا تعلق لها باعمال المحل. فان اول ما يتبادر الى خواطرهم انك عرفت بموت المستر روبرتسن فاخذت اوراقهُ المالية وعمدت الى الهرب بها كما قرر عنك الكاتب المذكور. فانحدرت من مقلتي برسي دمعتان محرقتان اسفًا على مربيهِ المستر روبرتسن وجمد حينًا وهو يفكر فيما آل اليهِ امرهُ. ثم تبسم ونظر الى صديقهِ هربرت فقال لا شك يا عزيزي ان ظاهر الامر يوجب اتهامي بعد ما ذكرتهُ لي ولكنني واثقٌ ان العدل لا يحكم بذلك بعد ان ابرهن على مركزي وسوابق حياتي. وزيادةً على ذلك فان عندي في غرفتي رسائل تثبت لكل من يقف عليها حسن قصدي وتوضح سبب سفري الفجآئي وغايتي منهُ فلا يمكن ان يطلع على ذلك قاضٍ ويحكم عليَّ مهما كانت معرفتهُ قاصرة وذمتهُ ساقطة. فقاك هربرت قد نفست كربتي يا برسي وقويت آمالي ولا اكتمك انهُ بلغني ان محاكمتك ستكون بعد يومين وقد جئتك الآن لهذا القصد الوحيد وهو ان اطلع على كل ما عندك في هذا الشان لا تمكن من المدافعة عنك. فقال برسي لاعدمتك ايها الحبيب ثم سرد لهُ قصتهُ بتفاصيلها وقال اما سبب سفري فهو انني علقت من مدةٍ بحب فتاة بل بعبادة ملكٍ طاهر لان عظم محبتي لها وزيادة هيامها بي لم يتعديا صدرينا فكان الواحد منا ينظر الى الآخر اذا التقينا نظرةً تترجم عما لا تقوى الشفاه على النطق بهِ. وما زلنا كذلك لا يجسر احدنا على ان يبوح بما يكنهُ فؤادهُ والهيام يفعل في قلبي فعل النار في الحطب اليابس حتى اذا ذهبت يومًا الى الادارة تلقيت رسالةً وهي الاولى من حبيبتي تعلمني فيها ان اسبابًا اضطرارية في غاية الاهمية احبرت والدها على السفر الى انكلترا وقد سافر باهل بيتهِ وانها تود مقابلتي قبل ركوبهم الباخرة لتطلعني على ما تكنهُ في ضميرها مما تؤكد لي انهُ يكون سبب عذابها الدائم ان هي لم تطلعني عليهِ. فما قرأت ذلك حتى طار رشدي ودعاني

الغرام فلبيتهُ واسرعت فركبت القطار وذهبت الى الاسكندرية وكان ما كان . فترى ايهـا العزيز ان الامر في غاية البساطة ولكن ما قضى بهِ الاتفاق السيئ من اخذي محفظة الاوراق وموت المستر رو برتسن في نفس تلك الليلة وسفري الفجآئي كل ذلك اوجب الشبهة فيَّ غير اني عالمٌ ايها العزيز انهُ بعد اطلاعك على الامر مع ثقتي بصدق اخآئك واجتهادك في الدفاع عني لا يلحقني شيء من وصمة الذل التي شآء حسادي ان يرموني بها . فقال المحامي هربرت وقد اتضح لهُ الامر كن براحة بال يا عزيزي برسي فلم يبقَ عندي شكٌّ في برآءتك وسيندم المشتكون ندماً شديدًا لسوء ظنهم بك . ولكن قل لي بربك من الفتاة التي سلبت لبك وكانت السبب فيما حصل . قال — هي ڤيولت التي رأيتني مرةً واياها في الجزيرة . وكأن برسي تمثل حبيبتهُ امامهُ فشخص ببصرهِ الى الفضآء ولم ينتبه الى تغير لون المحامي الفجآئي ولم يسمع صرير اسنانهِ . وبعد حين قال هربرت ذكرت لي يا برسي ان مما يؤيد برآءتك بعض رسائل في حوزة يدك وانهـا في غاية الاهمية فاين هي . قال هي في الدرج الثالث من مكتبتي في غرفتي فخذ هذا المفتاح وابحث عنهـا وأسأل الله ان يأخذ بيدك فلا البث طويلاً تحت هذه التهمة الشنعآء . فمد يدهُ مودعاً وقال اذًا سنلتقي بعد غدٍ في المحكمة فالى ذلك الحين استودعك الله

وخرج هربرت قاصدًا بيت صديقهِ برسي وهو يتمايل في سيرهِ كالنشوان وكان يردّد هذه الكلمات . ڤيولت الحلوة . . ڤيوليت التي اعبد موطئ قدميها . . ڤيولت التي طالما علت النفس بالحصول عليهـا تحب برسي ويحبها . . لا والله لن ينال يدها غيري ما حييت . ان للصداقة حدًّا لا تتجاوزهُ ولن يكون الانسان انساناً اذا ضحى غايتهُ لمنفعة صديقهِ . وما زال يردّد في صدرهِ مثـل هذه الكلمات حتى بلغ منزل برسي فدخلهُ وكانت الخدم تعرفهُ جيدًا فلم تمانعـهُ في ذلك وتوجه الى مكتبة برسي ففتح ادراجها وجعل يبحث في الاوراق التي فيها فأفرز منها خمس رسائل اعاد قرآءتها مرارًا ثم قال نعم ان واحدةً من هذه الاوراق كافية لاثبات برآءة برسي واعادتهِ الى اسمى من مركزهِ الاول ولا سيما هذه الوصية الموقع عليها بتوقيع

المستر روبرتسن نفسهِ فلا شك ان صديقي برسي سيرجع بعد المحاكمة معتزًّا وينال غنًى لا مزيد عليهِ . ولكن آه . اذا حصل ذلك فلا يحول دون حصولهِ على فيولت حائل وما انا ممن يرضى بذلك فآه ماذا افعـل . أأضحي قلبي لخير صديقي وادفع بنفسي الى النار المحرقة بينا هو يتنعم على اسرَّة السعادة والنعيم . لا . لا . لا . انك تجد يا هر برت في كل حين صديقًا اما المحبة فان فقدت فهيهات ان تعود . ولما قال ذلك عمد الى شمعةٍ بالقرب منهُ فأشعلها واخذ الاوراق بيدهِ ولبث حينًا كمن يتردّد في الامر ثم صرّ باسنانهِ واتسعت حدقتاهُ وقطب حاجبيـهِ علامة الاصرار فأدنى الاوراق من لهيب الشمعة واحدةً واحدةً وكان يتبسم تبسماً شيطانيًّا غريبًا كلما التهمت النار احداها ثم اخذ الاوراق المحرقة وفركها بين راحتيهِ فصارت هباءً من الرماد الاسود فذراهُ من نافذة الغرفة وعاد فغسل يديهِ وخرج عائدًا الى بيتهِ

وبعد يومين عقدت في دار القنصلية جلسة حافلة ترأسها عددٌ من القضاة بملابسهم السوداء وأُتيَ ببرسي فوقف الى جانب الغرفة وحانت منهُ التفاتة الى موقف المحامي فرأى هر برت وأيقن انهُ لا تمضي ساعة حتى يكون حرًّا مطلق السراح . فوقف كاتب الجلسة وتلا صكًّا يتضمن الشكوى على برسي بأنهُ لما علم بوفاة روبرتسن صمم على الفرار بأموالهِ فأخذ محفظة الاوراق المالية وترك مصر قاصدًا البلاد الاوربية لولا ذكاء بعض الكتبة فانهُ رأى في هيئة برسي ما دلهُ على الخيانة والسرقة فبلَّغ الخبر وأُلقي القبض على السارق وهو متلبسٌ بالجناية وضبطت المحفظة في يدهِ . فلما انتهت تلاوة الشكوى سُئل برسي فانكر ما نسب اليهِ ثم نهض هر برت للمدافعة فأخذ يبرهن للقضاة ان ما فعلهُ برسي لم يكن بقصدٍ سيئٍ وانهُ سافر الى الاسكندرية لغرض خصوصي ولسرعتهِ الزائدة عند السفر اخذ محفظة المحل عوضًا عن محفظتهِ . فاستحسن القضاة قول المحامي ولكنهم لم يروا في دفاعهِ البراهين الكافية للاقتناع وكان برسي ينتظر من دقيقة الى اخرى ان يبرز هربرت الرسائل التي تؤيد براءتهُ فلما رآهُ لم يفعل طار رشادهُ واخذ يشير اليهِ بخصوصها فأومأ اليهِ هربرت ان كن براحة بال ولا تخشَ سوءًا . ولما انتهت المرافعة دخل القضاة الى غرفة المذاكرة ثم

عادوا فنهض الرئيس وقال لم نجد في الدفاع ما يؤيد برآءة المتهم فقد قررت المحكمة ثبوت الجناية وحكمت عليهِ بالسجن خمس سنوات مع الاشغال الشاقة . فصاح برسي كمن اعتراهُ الجنون وقال هاتوا الرسائل التي تؤيد برآءتي أو اسألوا عنها المحامي قبل نطقكم بالحكم الظالم. ولكنهُ لم يكد يتم عبارتهُ حتى احاطت بهِ بعض الجنود فاقتادوهُ وهوعلى غير هدًى الى خارج الغرفة وخرج القضاة من الباب الآخر . ولما بلغ برسي غرفة سجنهِ جآءهُ هربرت فقال لهُ لمَ لم تذكر الرسائل يا عزيزي هربرت بل كيف جاز ان يصدر عليَّ هذا الحكم مع وجود تلك البينات . فقال هربرت اظنك واهمًا ايها العزيز لانني ذهبت الى غرفتك وبحثت بكل جهدي فلم اقف على الرسائل التي ذكرتها لي فلا شك انك واهمٌ فيما تقول . فصاح برسي وهو متألم كلا بل انا على يقين مما اقولهُ ولكن لا بد ان في المسألة يدًا تعمل على كيدي فلا بد ان يظهر الله الحق في حينهِ

. . . . . .

ومضت مدة جرت فيها المفاوضة بين الحكومة المحلية والقنصل ثم حصل الاتفاق على ارسال برسي الى الجيزة فكان يعمل مع المسجونين فمضت عليهِ ثلاث سنوات علل نفسهُ فيها كثيرًا وانتهى باليأس من الفرج فاستسلم للقضآء وزهد في دنياهُ . ولكنهُ كان يخطر لهُ احيانًا ذكرى ڤيولت فتتجدد قواهُ وينظر الى المستقبل البعيد نظر التهلف والتشوق ثم يخطر لهُ انها لا بد ان تكون سمعت بما جرى لهُ وانها اعتقدت بانهُ مجرم ونبذتهُ ظهريًّا فتطير نفسهُ شعاعًا ويتمنى لنفسه الموت

ولما انتهت السنة الثالثة لسجنهِ بلغهُ قدوم سجين جديد فانتظر مقابلتهُ شأن المحبوسين الذين يفرحون بقدوم رفيقٍ جديد يسألونهُ عن العالم الخارج عن دائرة سجنهم . فلما وقعت عينهُ عليهِ اذا هو احد خدمهِ الامنآء الذين كانوا في بيتهِ ايام عزهِ ونعيمهِ فاظهر برسي علامات التعجب والاستغراب . اما الخادم فاشار اليهِ بالصمت ولما انتهى شغل النهار واختليا في المسآء في حجرة واحدة قال برسي ما الذي اتى بكَ الى هذا المكان . قال اني يا مولاي بينما كنت في المنزل بعد سفرك الى

الاسكندرية جآءنا المستر هربرت في اليوم الثاني وطلب الدخول الى غرفتك فسمحنا لهُ بذلك لما نعلمهُ من الصداقة الوطيدة بينكما ولكنهُ داخلني ريبٌ من مجيئهِ فكنت اتجسس حركاتهِ في البيت فرأيتهُ قد انتقى من مكتبتك بعض الرسائل وبعد ان وقف حينًا يناجي افكارهُ ادناها من شمعة متقدة واحرقها جميعها . اما انا فلم اعلم شيئًا من حقيقة تلك الرسائل ولا من قصدهِ في احراقها . وحدث بعد سجنك انني دخلت في خدمتهِ وبقيت ارقبهُ الى هذه الايام فوجدتهُ في اول الامر مسرورًا من الحكم عليك . واتفق في المدة الاخيرة ان دُعي الى وليمة فانتهزت فرصة غيابهِ ودخلت غرفة مكتبتهِ فوجدتهُ قد نسي على مائدتهِ دفترًا يكتب فيهِ حوادثهُ اليومية وقرأت في ذلك الدفتر شيئًا فوجدت في بعض صفحاتهِ ما كتبهُ عن نفسهِ انهُ احرق لك اوراقًا كانت تؤيد برآءتك ومن جملتها وصاة المستر روبرتس وقد ترك لك جميع امواله واشغاله بشرط ان تحافظ على اسرتهِ وتقدم لها النفقة اللازمة . وقرأت ايضًا ان هربرت انما فعل ذلك تخلصًا منك لوجودك عثرةً سبيل حصولهِ على ڤيولت التي يحبها وقد علم منك انك كنت عازمًا على الاقتران بها . فلما رأيت ذلك اظلمت الدنيا في وجهي وفهمت جلية الامر التي كانت اشكلت عليَّ قبلاً فقطعت بعض صفحات ذلك الكتاب واخفيتها الى ان يتيسر لي مقابلتك واطلاعك عليها . فلما عاد هربرت ورأى ما حصل بادر فشكاني الى الحكومة متهمًا اياي بسرقة محلهِ وتمكن باغرآء بعض اولي النفوذ فحُكم عليَّ وجئت الى هنا

وكان برسي يسمع حديث خادمهِ وهو لا يكاد يصدقهُ ثم سألهُ وما فعلت بالاوراق التي اخذتها . قال حفظتها بحرصٍ شديد وها هي ذي ثم اخرجها من تحت ثوبهِ وسلمها الى برسي فلما اطلع عليها انتفى عنهُ كل ريب وبات ليلتهُ يفكر في الامر . ولما اصبح كتب استرحامًا الى قنصلهِ يطلب فيهِ مواجهتهُ لامرٍ ذي بال يود اطلاعهُ عليهِ ولما سُمح لهُ بذلك جآء القاهرة وعرض الامر على القنصل فاكبر القنصل الجناية وامر بعقد جلسةٍ خصوصية للنظر في الامر ثم ارسل قوةً الى بيت هربرت لاحضارهِ فوجدوا بيتهُ مقفلاً واغتصبوا بابهُ فلم يجدوا فيهِ احدًا ولكن

رأوا على مائدته رسالةً معنونة باسم برسي فأحضروها معهم وفتحها برسي امام القنصل فقرأ فيها ما يأتي

يا من كنت صديقي

لا بُد ان تكون قد علمت بما فعلتهُ بك ولم يكن ذلك الا طمعاً في الحصول على الفتاة الفاتنة ڤيولت وقد فضلت ان القي بك الى التهلكة على ان اراك واقفاً في سبيلي مانعاً لي من الحصول عليها . وقد بذلت جهدي كل هذه المدة فلم انل منها كلمة رضى واحدة ولا نلتُ منها وعداً وقد اطلعتها مؤخراً على ما اصابك واخبرتها ان لا امل لها في لقياك بعد ذلك الفراق وان الافضل لها ان ترضى بي بعلاً لها وتنساك وانت مثقل بقيود السجن وفظاعة التهمة الشنيعة . فكان جوابها النهائي انها لن تسمح لي بتقبيل الارض التي تدوسها ولا تريد ان تراني البتة وانها تعتقد انني سبب بلائها ومصاب حبيبها . وقد اصابت فيما قالت . وارى ضميري يبكتني جداً على ما فعلت وقلبي يسهل لي الموت على الحياة مرفوضاً من اعز الناس لديَّ . فها انا اقرّ لديك بجنايتي واسألك ان لا تتمنى لي الشر ولا تسعى في اذيتي فاني سأقتص بنفسي من نفسي الشريرة فاصفح عن ذنبي واعذر من تغلب الجهل عليهِ فاعمى بصيرتهُ

هربرت

. . . . . .

واستأنفت اللجنة المخصوصة جلساتها فحكمت ببراءة برسي والتعويض عليهِ بما لحق بهِ من الاضرار والاهانة ثم فرضت مبلغاً سنوياً لارملة رو برتسن وارجعت التركة بتمامها الى برسي طبقاً لمنطوق وصية الموصي فعاد برسي الى عزهِ وكرامتهِ ثم اقترن بڤيولت فعاشا سعيدين مسرورين يُذهبان مرارة الماضي بحلاوة الحاضر

ووجد خفرآء السواحل بالقرب من امبابة ثاني يوم خروج برسي من سجنهِ جثةً طافية على وجه المياه فانتشلوها و بعد الفحص عُرف انها جثة هربرت المحامي وحقق الكشف الطبي انهُ مات منتحراً